

# التداولية في ميزان البحث اللغوي

م. د. عبد المطلب نجيب شهاب أحمد

وزارة التربية - مديرية تربية محافظة الأنبار

وسم هذا البحث بـ ((التداولية في ميزان البحث اللغوي (بيان وتوضيح وتظهير)))، فهو يبين حقيقة مفهوم التداولية قديماً وحديثاً، وحقيقة جذور هذا المصطلح التاريخية وأقوال المعاصرين فيه، كما بيّنا بإيجاز مهام التداولية وخصائصها، فضلاً عن دراسة التراكيب النحوية من الوجهة الدلالية فهو يعالج التراكيب النحوية في العربية من وجهة نظر تداولية بغية الوصول إلى دراسة نحوية تعنى بالتركيب والتحليل، ودلالات الجمل من خلال مقاماتها وربط ذلك كله بالاتجاهات الحديثة، وخاصةً الاتجاه الوظيفي ونظريته التداولية إلى اللغة.

## Summary:

This research was called ((deliberative in the balance of linguistic research (clarification, clarification, and theorizing))). The semantic it deals with grammatical structures in Arabic from a deliberative point of view in order to reach a grammatical study dealing with composition and analysis, and the meanings of sentences through their positions and linking all of this with modern trends, especially the functional direction and its deliberative view of language.

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وبعد: لعل المتأمل في حركة الفكر اللساني العربي نحو البحث التداولي يدرك أن الدرس التداولي في التراث اللغوي العربي، كان متحركاً تحرك البحث النحوي والبلاغي، وارتبط بهما في معظم الأحوال ارتباطاً وثيقاً وكان جزءاً لا يتجزأ من الحالة الفكرية التي قطعها الممارسات النقدية العربية سواء في دراستها للغة ورصد خصائصها أو البحث في أسباب الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم وطريقة نظمه أو إبراز وبيان جمالية الشعر العربي، ومن ثم ارتبطت التداولية بالدرس النحوي والبلاغي في التراث العربي، بداية من سيبويه ومروراً بعبد القاهر الجرجاني وغيره، ولكن هذا التوجه يختلف عن الدرس التداولي عند الغرب حيث يُعدّ العمل التداولي عملاً فلسفياً، وأن وظيفة اللغة ليست مجرد أداة تعبير كما هو معروف قديماً ولكن وظيفتها في التأثير على العالم وصناعته، ولا نريد الإطالة ولعل ما كتبه يكشف شيئاً من ذلك، أقول وبالله التوفيق. فقد قسمت بحثي إلى مبحثين، تناولت في المبحث الأول التعريف بالمصطلح لغةً واصطلاحاً وجذوره وعلاقة المحور الدلالي بالتداولي، وأقوال المعاصرين في التداولية وتناولت في المبحث الثاني مهام التداولية وخصائصها، وكذلك الوظائف النحوية وأبعادها المعنوية. وختمت البحث بخاتمة بينت فيها أبرز النتائج.

## المبحث الأول التداولية لغةً واصطلاحاً:

**التداولية لغةً:** مصدر (تداول)، يقال: دال يدولُ دولاً: انتقل من حال إلى حال: وأدال الشيء: جعله متداولاً وتداولت الأيدي الشيء: أخذته هذه مرةً وتلك مرةً<sup>(١)</sup>.

**التداولية اصطلاحاً:** عبارة عن مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات ومتساومة في النظر إلى اللغة بوصفها نشاطاً يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد<sup>(٢)</sup>. والتداولية يمكن أن نعرفها عند علماء العرب بأنها: ((نسقٌ معرفي استدلالي عام يعالج الملفات ضمن سياقاتها التلفظية والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية))<sup>(٣)</sup>. وحدّتها الدكتور عبد الحميد مصطفى السيد بأنها: ((إتجاه في الدراسات اللسانية، يُعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق))<sup>(٤)</sup>. وقريباً من هذا الكلام ما ذكره السيوطي مؤكداً على أنّ الاستعمال اللغوي هو الذي تقوم عليه دراسة اللغة أثناء الاستعمال، يقول: ((إذا أتاك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره، فدع ما كنت عليه))<sup>(٥)</sup>، وبذلك يظهر لنا أهمية الاستعمال اللغوي وما يتداوله العرب في اللغة، وقيمتها في تحديد أساليبها وطرق أدائها، وفي هذا السياق لا يمكن أن تُغفل جهود المفسرين في كثير من الأحيان والمواضيع، إذ قدّموا لنا كثيراً من الوقفات أمام آيات الله سبحانه وتعالى عكست لنا تصوراتهم اللغوية، ولو جُمعت مع ما قدمه اللغويون والبلاغيون وغيرهم لانتهينا إلى صورة تقترب بوضوح مما يسمى اليوم باللسانيات التداولية الحديثة. ويمكن القول أن التداوليات هي إحدى فروع الدراسات اللسانية وهي التي تبحث تفسير العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية ومدلولاتها وبين الدالين عليها<sup>(٦)</sup>.

**التداولية عند الغرب:** لقد عرفها علماء الغرب بتعاريف مختلفة من أبرزها تعريف تشارلز موريس (Morris) الذي يقول: ((إنّ التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومتعلمي هذه العلامات))<sup>(٧)</sup> فهو تعريف عام إذ جعل فيه صاحب هذا التعريف التداولية جزءاً من السيميائية، كما أنه لا يحدد طبيعة هذه العلامات.

وهناك تعريف آخر لماري ديلير (Mari Diller): وهو أنَّ التداولية تعني ((دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهده في ذلك على مقدرتها الخطابية))<sup>(٨)</sup>: أي: أنها العلاقة بين العلامات ومستخدميها، فهي تهتم بعملية إنتاج اللغة وبمنتجها وليس فقط بالنتائج نفسه أي اللغة<sup>(٩)</sup>. وعرفها عالم آخر: بأنها دراسة الارتباط المهم لعملية التواصل في اللغة الطبيعية بالمتكلم والسامع اللغوي وبالمقام غير اللغوي وارتباطهما بوجود معرفة أساسية وبسرعة وجود تلك المعرفة<sup>(١٠)</sup>، وفي هذا السياق ذهب محمد العمري إلى أنَّ للتداولية الحديثة بُعدًا جاحظيًّا؛ لأنه<sup>(١١)</sup> يعتقد أنَّ الجاحظ ركَّز على المرسل والمتلقي، والرسالة، وعملية التأثير، والتأثير، والقصد، ونوايا المتكلم، والفائدة من الكلام، والإفهام، وكما هو معلوم فإنَّ كلَّ ما ذكرناه يُعدُّ جوهر النظرية التداولية، يقول محمد العمري: ((إنَّ هذا البُعد هو احد الأبعاد الأساسية في البلاغة العربية، وهو بعد جاحظي في أساسه، وإنَّ تخليُّ البديعيين عنه في مرحلة لاحقة أدى إلى اختزال البلاغة العربية وتضييق مجالها، وتحظى نظرية التأثير والمقام حاليًّا بعناية كبيرة في الدراسات السيميائية، ومن ثمَّ الشروع في إعادة الاعتبار إلى البلاغة العربية تحت عنوان جديد هو التداولية))<sup>(١٢)</sup>، ولعل من المناسب أن نعود إلى الوراء فننتحدث عن الأصول التاريخية لمصطلح التداولية.

### الجنود التاريخية لمصطلح التداولية:

لم يكن مصطلح التداول شائعاً عند الأقدمين، وعند التمعن في كلام العرب القدماء نرى جلياً أنهم كانوا يعرفون المستوى التداولي التكملي والمرجع في ذلك إلى كلام سيبويه ونظيره النحوي<sup>(١٣)</sup>، الذي تنصب هذه الدراسة عليه من خلال تأليفه لكتابه الذي سُمِّيَ بـ(الكتاب)، ففي هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة<sup>(١٤)</sup>، والذي يعدُّه البعض باباً مجاله الدلالة وسياق اللفظ في بعد مجرد؛ ويقسم سيبويه الكلام على النحو التالي:

أنتيك أمس	مستقيم حسن
أنتيك غداً	محال
حملتُ الجبل	مستقيم كذب
كي زيد يأتيك	مستقيم قبيح
سوف أشرب ماء البحر	محال كذب

إنَّ حكم سيبويه على أحد أنماط الكلام بصفة المستقيم الكذب هو ما يُسمى باللحن التداولي الذي تتوفر فيه شروط المطابقة بين النسبة الكلامية والنسبة الواقعية الخارجية والنسبة العقلية كما يعبر بها البلاغيون وكذلك التداوليون<sup>(١٥)</sup>. وفي بيان معنى الأقسام السالفة الذكر عند سيبويه يضيف الأعلام الشنمري بأنَّ المستقيم من طريق النحو هو ما كان على القصد سالمًا من اللحن، فإذا قلت (قد زيداً رأيت) فهو سالم من اللحن فهو مستقيم من هذه الجهة ((وهو مع ذلك موضوع في غير موضعه فهو قبيح من هذه الجهة))<sup>(١٦)</sup>. نستطيع أن نقول أنَّ الفائدة من عرض تلك الحدود التداولية أنها تركز على ((دور العوامل السياقية في إنتاج الخطابات على هيئات معينة، وأشكال مخصوصة ترتبط بظروف الإرسال ومقاصد المرسلين وبيئة الاستقبال بشكل عام))<sup>(١٧)</sup>. وجاء صاحب كتاب الصناعتين فجعل المعاني على وجوه وأظن في تفصيلها مكرراً أمثلة سيبويه، منها ما هو مستقيم حسن مثل قولك قد رأيت زيداً، وقد كتبتُ رسالةً، ومنها ما هو مستقيم قبيح، نحو قولنا: قد زيد رأيت، وإنما قبح لأنك أفسدت الكلام بالتقديم والتأخير... الخ<sup>(١٨)</sup>، ومنها ما هو مستقيم في النظم فهو كذب مثل قولك: حملتُ الجبل وشربت ماء البحر، ومنها ما هو محال مثل قولك: (الدنيا في بيضة)، فكل محال فاسد وليس كل فاسد محالاً ألا ترى أنَّ قولك: قام زيداً فاسد وليس بمحال، والمحال ما لا يجوز وقوعه أبداً كقولك: (الدنيا في بيضة)، وأما قولك: حملتُ الجبل وأشباهه فكذب وليس بمحال على افتراض أنَّ الله يزيد في قدرتك فتحمله، ويجوز أن يكون الكلام الواحد كذباً محالاً، نحو قولك: رأيتُ قائماً قاعداً وأشباهه فتصل كذباً بمحال<sup>(١٩)</sup>. وهنا لا بدُّ من وقفة فكلام أبي الهلال ليس فيه جديد، أما كلامه عن المحال ففيه اضطراب وتناقض، إذ كيف رضي أن تكون (الدنيا في بيضة) محالاً في حين جعل حمل الجبل ممكناً وربط ذلك بقدرة الله تعالى، وكما هو معلوم فقدرة الله لا يمكن أن تُحدَّ بحد، وبناءً على ذلك يمكن أن تُختزل الدنيا في بيضة. أما المحال عند سيبويه بأنَّ تنقُص كلامك بكلامك أوله بأخره، نحو قولك: أنتيك غداً؛ وذلك للجمع بين المتناقضين.

### علاقة المحور الدلالي مع المحور التداولي:

يشترك المحوران الدلالي والتداولي في أنهما مختصان بما يتجاوز الرمز اللغوي نفسه إلى أبعاد أخرى غير أنهما يفتقران في أن الدلالة تدرس المعنى المجرد خارج إطار المقام، أي إن علم الدلالة قد اقتصر إجمالاً على تحليل معاني الكلمات والجمل<sup>(٢٠)</sup>.

أما التداولية: فتقوم على البحث في أثر السياق غير اللغوي (الخارجي) في كيفية تحديد المعاني لا من وجهة نظر السامع وحده، ولا من جهة نظر المتكلم، بل تبحث في كيفية اكتشاف مقاصد المتكلم، فقول المتكلم على سبيل المثال: (الجو شديد البرودة) قول لا يقتصر على إعلامنا ببرودة الجو، ولكنه يعني ضرورة اغلاق النافذة، وفي الحقيقة أننا لو نظرنا في الكلمات: (جو، شديد، برودة) وتذكرنا معانيها المعجمية ووازناً ذلك بـ(أغلقوا النافذة) لوجدنا أن العلاقة بين المعنيين لا تتم عن تطابق بين قول المتكلم وما يعنيه، وبين ما يسمعه السامع ويفهم منه شيئاً آخر<sup>(٢١)</sup>.

### أقوال المعاصرين في التداولية:

((إنّ التداولية لم تصح مجالاً يُعتدّ به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد وهم أوستن، وسيرل، وجرايس، مع أن سيرل وجرايس أتما تعليمهما في كاليفورنيا))<sup>(٢٢)</sup>. ثم استمر قائلاً: ((وقد كان هؤلاء الثلاثة من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية أو العادية في مقابل مدرسة اللغة الشكلية أو الصورية التي يمثلها (كارناب) وكانوا جميعاً مهتمين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها، وكان هذا من صميم عملهم وهو من صميم التداولية أيضاً))<sup>(٢٣)</sup>. وأكدت دراسة حديثة أن التداولية تتداخل مع علوم اللغة الأخرى ومن هذه العلوم: علم الدلالة، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي.

## المبحث الثاني

### مهام التداولية:

إن للتداولية عدّة مهام تتعلق باللغة واللسان يمكن أن نتلخص فيما يأتي:

- ١- دراسة استعمال اللغة، فهي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها، ولكن تدرس اللغة حين استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة. يمكن أن نتصورها كلاماً محدداً صادراً من متكلم محدّد وموجهاً إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصل محدد لتحقيق عرض تواصل محدد.
  - ٢- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.
  - ٣- بيان اسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.
  - وأرى أن هذه العبارة قاصرة على إيصال المعنى لدى السامع وغامضة عن مدلولها ومُرادها، ولو استعمل مثال يقرب الصورة ويزيل الغموض.
  - ٤- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنوية للصرف في معالجة الملفوظات<sup>(٢٤)</sup>.
- والتداولية تُستمد وتؤخذ من عنصرين هما: العنصر المعرفي أو الرافد المعرفي كما تعرضه بعض المباحث في علم النفس المعرفي ومجالاته: الاستدلالات، والاعتقادات، والنوايا.

أما الرافد الثاني أو العنصر الثاني، فهو الرافد التواصلية ويعبر عن أغراض المتكلمين واهتماماتهم ورغباتهم<sup>(٢٥)</sup>.

### مميزات وخصائص التداولية:

- نظراً لأهمية دراسة التداولية في البحث اللغوي المعاصر بزعم المعاصرين، ذكر الدكتور محمود أحمد نحلة<sup>(٢٦)</sup> مميزات تميزها عن غيرها من اتجاهات البحث اللغوي المعاصر وهي كالتالي:
- ١- تقوم التداولية على دراسة الاستعمال اللغوي وبعبارة أخرى هي لسانيات الاستعمال اللغوي ويقوم البحث على توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي من حيث هو صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعنى
  - ٢- ليس هناك وحدات تحليل خاصة بالتداولية ولا موضوعات مترابطة.
  - ٣- تدرس التداولية اللغة من وجهة وظيفته عامة تشمل الوظيفة المعرفية والاجتماعية والثقافية.
  - ٤- يمكن أن تكون التداولية نقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصلة باللغة لما لها من علاقة بينها وبين لسانيات الثروة اللغوية<sup>(٢٧)</sup>.
- ولما كان مجال البحث واسعاً في مصطلح التداولية، فقد أشار الدكتور محمود أحمد نحلة إلى ظهور ونشأة فروع لها يتميز كل منها عن الآخر، فهناك عدة أنواع للتداولية، فهناك التداولية الاجتماعية التي تُعنى بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي فتتحول من التركيب اللغوي إلى السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه. وهناك نوع آخر من التداولية وهي التداولية اللغوية التي تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية.

وهناك التداولية التطبيقية التي تعنى بمشكلات التواصل في المواقع المختلفة خاصة حين يترتب على الاتصال نتائج خطيرة كالاستشارة الطبية، وجلسات المحاكمة. وأخيراً التداولية العامة، وهي التي تدرس الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالاً اتصالياً<sup>(٢٨)</sup>. وبهذا صارت التداولية: ((تبحث في ما وراء البنية اللغوية لتصبّ اهتماماً على المتكلمين ومقاصدهم والظروف المحيطة بعملية التلفظ والمعارف والخبرات التي يشارك بها المتكلمون وكل العوامل التي تغلف الكلام المتداول وتكشف عن معناه))<sup>(٢٩)</sup>.

### الوظائف النحوية وابعادها المعنوية:

إن أول ما نستحضره في اعمال النحاة أن منهجهم في وصف التراكيب في العربية قام من خلال أفراد كل وظيفة فصلوا فيها قيودها الصرفية والنحوية وأبعادها المعنوية التي تتفاوت فيها هذه الوظائف فمنها ما يبرز فيها الجانب الوظيفي أو التركيبي، وأخرى يبرز فيها الجانب الدلالي، وثالثة يبرز فيها البعد التداولي، كما أن هناك وظائف تجمع بين بعدين، ووظائف لها أغراض دلالية مختلفة ويمكن أن تمثل بتصنيفٍ يشمل الأبعاد الثلاثة معتمدين في ذلك على ما وضع النحاة من حدود تكاد تلتقي عليها مصنفاتهم.

### وظائف تركيبية:

المبتدأ: (يبني عليه الكلام)<sup>(٣٠)</sup>، الخبر هو (المبنى على المبتدأ)<sup>(٣١)</sup> الفاعل (يبني عليه الفعل المقدم عليه)<sup>(٣٢)</sup>، ويشاركه نائب الفاعل (جزء أساسي بعد حذف الفاعل)، المفعول به (يحتاج إليه إذا كان الفعل متعدياً).

### وظائف دلالية:

الخبر (يصير به المبتدأ كلاماً)، الفاعل (من قام بالفعل أو اتصف به)، المفعول به (يقع عليه فعل الفاعل)، المفعول المطلق (يؤكد الفعل أو يبين نوعه أو عدده)، المفعول لأجله (علّة الفاعل)، المفعول فيه (زمان أو مكان الفعل)، المفعول معه (بعد واو للتصحيح على المعية)، الحال (يبين هيئة صاحبه)، التمييز (رفع الإبهام في جملة أو مفرد)<sup>(٣٣)</sup>، المستثنى (إخراج بعضٍ من كل)، المضاف إليه (ما نسب إليه شيء بوساطة حرف الجر)<sup>(٣٤)</sup>... ألخ من أساليب العربية الأخرى، كالنعت والتوكيد وعطف النسق وعطف البيان.

### وظائف تداولية:

المبتدأ (معرفة المخاطب)<sup>(٣٥)</sup>، الخبر (محط فائدة السامع)، التمييز (تنبيه المخاطب على المراد بالنص على أحد احتمالاته)<sup>(٣٦)</sup>، المنادى (طلب اقبال المخاطب بحرف ناب مناب الفعل)، التوكيد (تمكين المعنى في نفس المخاطب وإزالة الاحتمال في التأويل)<sup>(٣٧)</sup>.

### التركيب العدولية:

تقوم بنية الجملة في النحو العربي على أركان ثلاثة:

المسند إليه، والمسند، والفضلة وتتبع الجملة الأسمية في العربية نظام:

المسند إليه + المسند + فضلة

أما الجملة الفعلية فتتبع نظام:

المسند + المسند إليه + فضلة

يلاحظ في الجملة الاسمية تقدم المسند إليه أما الفعلية فيلاحظ تقدم المسند وليس المسند إليه.

والاركان تمثلها وظائف ضبطها النحاة، بقيود هي أصل الوظيفة، والجملة بهذه القيود جملة عادية مألوفة يُراد بها الإخبار أو الاسناد، ونحو ذلك قولنا: جاء زيد ضاحكاً.

فهذه الجملة اخبارية تفيد بمجيء زيد ضاحكاً، وهي جملة حال والحال في حدود النحاة فضلة منتصب يبين هيئة ما قبله من فاعل أو مفعول به أو منهما معاً أو من غيرهما، وقت وقوع الفعل.

وهذا الحد يشتمل على عدد من القيود في جملة الحال وهي:

العامل ويمثله الفعل أو ما في تأويله، وصاحب الحال: وهو معرفة من فاعل أو مفعول أو هما أو غيرهما، والحال: وهو وصف مشتق ونكرة يبين هيئة صاحب الحال وقت وقوع الفعل، وكل قيد أصل<sup>(٣٨)</sup>، وهو صالح عند أمن اللبس لأن يعدل التركيب عنه إلى أنماط فرعية؛ لأن الجملة لا تبدو دائماً على نمط تركيب واحد.

ويمكن القول أن مظاهر العدول عن الأصل تتعدد وتتوزع فقد يكون العدول:

في البنية الصرفية: مما يطرأ عليها من تعريف أو تكثير أو نقل أو في الرتبة: مما يحدث من تقدم أو تأخر.

أو في النظم: من حذف أو زيادة أو اعتراض أو فصل بين أجزائه<sup>(٣٩)</sup>، ففي قولنا السابق: جاء زيد ضاحكاً، يمكن أن تتولد أنماط كثيرة منها: جاء ضاحكاً زيد- ضاحكاً جاء زيد- جاء زيد ضاحكاً باسماء، وكل نمط من هذه الأنماط يختلف عن غيره بنياً ودلالةً وهذا أمر حسن يكسب اللغة مرونة واسعة ويوضح أنّ لها خياراتٍ عديدة. وقد عالج النحويون الأنماط السابقة وغيرها من الأنماط التي عدل فيها عن الأصل وفق أساليب توافق متطلبات النحوي. فمثلاً في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾<sup>(٤٠)</sup>، رفعت (سورة) على إضمار مبتدأ محذوف تقديره: هذه سورة و (أنزلناها) صفة. يتبين من هذا أنّ النحاة ينطلقون إلى التراكيب أولاً على أساس أن لها أصولاً تركيبية تتوافق مع القواعد التي يصنعونها، فإذا لم يتوافق التركيب الظاهر مع هذه الأصول، بسبب تقدم أو تأخر أو حذف أو نحو ذلك، صرفوا النظر عنه إلى باطن منضبط من القواعد التي وضعها النحاة<sup>(٤١)</sup>، وما يحيط بالظاهرة اللغوية (المقام الخارجي) على الرغم من أن النحاة اعتنوا بالمقال وأصوله التركيبية فإنهم عنوا بالمقام الخارجي وما يحيط بالظاهرة اللغوية من ملاسبات لها علاقة بالمتكلم أو المخاطب أو ظروف الكلام، لكن هذه العناية جاءت بقدر معين، وذلك في معرض الكلام عن الفهم والافهام<sup>(٤٢)</sup>، أو لرد ما يعرض في بناء المادة اللغوية من ظواهر مخالفة إلى أصول النظام النحوي طلباً للإطراد المحكم<sup>(٤٣)</sup>، أو في الحكم على ما يجوز وما لا يجوز من التراكيب والأمثلة على ذلك كثيرة في (الكتاب) منها أنّ سبويه لا يستقيم عنده أن تقول: (هذا أنت) ويجوز (هذا هو) معتمداً على بعد خارجي محض إذ يقول<sup>(٤٤)</sup>: ((لأنك لا تشير إلى المخاطب إلى نفسه ولا تحتاج إلى ذلك وإنما تشير له إلى غيره...)). ويمكن أن نزداد وضوحاً بإضافة مثال آخر عن الحذف ليبين أو ليزيد هذا الفهم ويقرب الصورة لنا أكثر حتى نستطيع أن نولج في هذه العبارات وندخل أعماق اللغة فنستكشف ما ذكره المتقدمون من النحاة. يفسر الحذف في قولهم: أتميمياً مرة وقيسياً أخرى بتقدير أتحوّل تميمياً مرة وقيسياً أخرى، ثم يبين مقاصد هذا الحذف في ضوء معطيات المقام الخارجي فيقول<sup>(٤٥)</sup>. يفهم من هذه العبارة أن حاله في تلون وتنقل من حال إلى حال وليس يسأله مسترشداً عن أمر هو جاهل به ولا يعرفه ليفهمه إياه وإنما المقصود هنا التوبيخ والتأنيب على ذلك وتطرق ابن هشام على ذلك أيضاً وذلك في باب المنصوبات المتشابهة أي: ما يحتمل الحالية والتمييز<sup>(٤٦)</sup>. وكما قلنا سابقاً أن هذه العناية بالمقام تبقى على مستوى معين في إطار ما ذكرنا، فلم يكن مبدأً أساسياً في عملهم وهذا لا يعيب عليهم. فقد أقاموا منهجهم في وصف الظاهرة النحوية وتعميد قواعدها وما يجب أن تكون عليه، ولعل ما يؤيد ذلك كثرة المسائل الخلافية بين النحاة. وبعد هذا العرض والحديث عن التداولية وخصائصها ومميزاتها وكذلك أنواعها أجد نفسي غارقاً في مستنقع الألفاظ والمصطلحات الحديثة وصعوبة فهمها على مستوى التظهير فقط، حتى جاء الكلام عن المقاصد النحوية وأبعادها المعنوية، ووظائف التركيب وأقترن بضرب الأمثلة من النحو العربي واستعراض أقوال سيبويه وأمثله فصار المقصد أوضح وأيسر مما يدل على أصالة التداولية وجذورها القديمة وضلوع سيبويه عملياً في هذا المصطلح عدا التسمية فإن سيبويه وغيره من الأقدمين لم يكونوا يعرفونها ولكنهم عملوا بمضمونها ومضمون أغلب النظريات الحديثة حتى جاء الغرب فاستفاد من هذا الجهد العربي الجبار وعلى جميع المستويات اللغوية ووضعوا مناهج لكل نظرية ليثبتوا أنهم أتوا بشيء جديد والحقيقة غير ذلك، والله أعلم بالصواب.

### الذاتة:

لا نريد الكلام عن التداولية وماذا تعني وما ذكرته يغني والمهم أني خرجت نتائج أهمها:

- ١- لم يكن هذا المصطلح شائعاً عند القدماء.
- ٢- ومع ذلك فإن القدماء كانوا يعرفون المستوى التداولي التكلمي والمرجع في ذلك سيبويه.
- ٣- وجود نقاط التقاء بين المحور الدلالي والمحول التداولي وكذلك وجود مفترقات بينهما.
- ٤- تنوع مظاهر العدول عن الأصل ومنها العدول في البنية الصرفية.
- ٥- صعوبة فهم المصطلحات الحديثة.
- ٦- أصالة التداولية وقدم جذورها.
- ٧- استفادة الغرب من الجهد العربي في إنشاء هذه النظرية.
- ٨- إنّ مباحث النحو يتحقق بها فهم البنية التركيبية ودلالاتها، ومباحث البلاغة يتحدد بها أهداف التعبير والتواصل، وبهما يتحدد دلالة التراكيب وأسرارها.

### المصادر:

- القرآن الكريم

- ١- أسرار العربية: أبو البركات الأنباري، تحقيق: محمد البيطار، مطبعة الشرقي.
- ٢- الأصول- دراسة استمولوجية لفكر اللغوي عند العرب: تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٣- الاصول في النحو: لابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٤- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: د. حمود أحمد نحلة، مكتبة الآداب- القاهرة، ط١، ٢٠١١م.
- ٥- الأفق التداولية نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية: د. إدريس مقبول، عالم الكتب الحديث، أربد- الأردن، ط١.
- ٦- الاقتراح في أصول النحو وجدله: للإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.
- ٧- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها: محمد العمري، افريقيا الشرق - المغرب، ١٩٩٩م.
- ٨- التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف نموذجاً: د. محمد عديل عبد العزيز، دار البصائر، مصر- القاهرة.
- ٩- التداوليات علم استعمال اللغة: د. حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن- إربد، ط١.
- ١٠- التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللسان العرب: دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.
- ١١- جمهرة اللغة: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- ١٢- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: د. مؤيد آل صوينت، مكتبة الحضارات- بيروت، ط١.
- ١٣- الخطاب القرآني في دراسة في البعد التداولي وملامح التداولية عند عبد القاهر الجرجاني.
- ١٤- دراسات في اللسانيات العربية- بنية الجملة العربية: د. مصطفى عبد الحميد السيد، دار الحامد- عمان.
- ١٥- دراسة عن البعد التداولي لسبويه: للاستاذ مقبول إدريس، عالم الفكر، العدد الأول المجلد ٣٣.
- ١٦- شرح التصريح على التوضيح: للأزهري (ت ٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد باسل، دار إحياء الكتب العربية.
- ١٧- شرح الكافية: رضي الدين الاسترأبادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٨- شرح المفصل: ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. ايمل بديع يعقوب، المطبعة المنيرية، مصر، ط١.
- ١٩- شظايا لسانية: مجيد الماشطة، مطبعة السلام، ط١، ٢٠٠٧م.
- ٢٠- الصناعتين الكتابة والشعر: أبو الهلال العسكري، تحقيق: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، ط٢.
- ٢١- علم اللغة الاجتماعي: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر.
- ٢٢- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- ٢٣- في اللغة والأدب: محمد مصطفى أبو الشوارب، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، ٢٠٠٣م.
- ٢٤- كتاب سبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت.
- ٢٥- لسان العرب: لابن منظور، ط١، دار المعارف، القاهرة.
- ٢٦- اللسانيات الوظيفية في الدراسات العربية المعاصرة، اطروحة دكتوراه، دراسة في جهود أحمد المتوكل- جامعة بغداد).
- ٢٧- اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، ط٢.
- ٢٨- المدارس اللسانية المعاصرة: د. نعمان بواقرة.
- ٢٩- مدخل إلى علم اللغة: إبراهيم خليل، دار الميسرة، ط١.
- ٣٠- المذاهب الفكرية المعاصرة: سماح رافع.
- ٣١- مغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٣م.
- ٣٢- المقارنة التداولية: فرانسواز أرمينيكو، ترجمة: سعيد علوش.
- ٣٣- نظرية اللغة الأدبية: خوسيه ماري ايفانكوس، تحقيق: حامد ابو أحمد، دار القاهرة، ١٩٩١م.
- ٣٤- نظرية اللغة في النقد العربي: عبد الحكيم راضي، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠م.

- (١) يُنظر: لسان العرب لابن منظور، (ماد دول)، وجمهرة اللغة: ١٢٧٣/٣، والعين: ٧٠/٨.
- (٢) الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: ٢٨.
- (٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨-٢٩.
- (٤) دراسات في اللسانيات العربية- بنية الجملة العربية: ٨٧.
- (٥) الاقتراح في أصول النحو: ٣٥، ويُنظر: التداولية عند علماء العرب: ١٦-١٧.
- (٦) يُنظر: الأفق التداولية نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية: ١١٥.
- (٧) المدارس اللسانية المعاصرة: ١٦٦.
- (٨) المقارنة التداولية: ٨.
- (٩) يُنظر: شظايا لسانية: ٥٩، والمذاهب الفكرية: ٤٩، ٥٢.
- (١٠) يُنظر: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي: ٢٨.
- (١١) أقصد محمد العمري.
- (١٢) البلاغة العربية أصولها وامتداداتها: ٢٩٣.
- (١٣) يُنظر: دراسة عن البعد التداولي لسبويه: ٣٤٦.
- (١٤) يُنظر: كتاب سيبويه: ٢٥/١.
- (١٥) يُنظر: الكتاب: ٢٥/١، ودراسة عن البعد التداولي لسبويه: ٣٤٦.
- (١٦) النكت في تفسير كتاب سيبويه: ٢٠٤/١.
- (١٧) التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف نموذجاً: ٢٩٣.
- (١٨) يُنظر: الصناعتين الكتابة والشعر: ٧٦.
- (١٩) يُنظر: الصناعتين: ٧٦.
- (٢٠) يُنظر: الخطاب القرآني في دراسة في البعد التداولي وملاحم التداولية عند عبد القاهر الجرجاني: ٢٨.
- (٢١) يُنظر: مدخل إلى علم اللغة: ٢٢٩-٢٣٠.
- (٢٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٩-١٠، ويُنظر: في اللغة والأدب: ٩٣.
- (٢٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٩-١٠، ويُنظر: التداولية عند العلماء العرب: ٥.
- (٢٤) يُنظر: التداوليات علم استعمال اللغة: ٢١، والتداولية عند العلماء العرب: ٢٦-٢٧.
- (٢٥) منقول بتصرف.
- (٢٦) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٢.
- (٢٧) يُنظر: المصدر نفسه: ١٤-١٥.
- (٢٨) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٤-١٥.
- (٢٩) اللسانيات الوظيفية في الدراسات العربية المعاصرة: ١١٧.
- (٣٠) كتاب سيبويه: ١٢٦/٢.
- (٣١) المصدر نفسه: ١٢٦/٢.
- (٣٢) الاصول في النحو: لابن السراج: ١٢/١.
- (٣٣) شرح التصريح على التوضيح: الأزهرى: ٣٩٤/١.



- (٣٤) شرح الكافية: ٢٧٢/١.
- (٣٥) أسرار العربية: ٦٩.
- (٣٦) شرح المفصل: ٧٠/٢.
- (٣٧) المصدر نفسه: ٤٠/٣.
- (٣٨) يُنظر: الأصول- دراسة استمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: ١١٤ - ١٤٠.
- (٣٩) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٧ وما بعدها.
- (٤٠) سورة النور: الآية ١.
- (٤١) يُنظر: نظرية اللغة في النقد العربي: ١٩٤, ٢٠٥.
- (٤٢) يُنظر: علم اللغة الاجتماعي: ٩٧.
- (٤٣) يُنظر: نظرية النحو العربي: ٩٧.
- (٤٤) كتاب سيويه: ١/١٤١.
- (٤٥) يُنظر: كتاب سيويه: ١/٣٤٣.
- (٤٦) يُنظر: مغني اللبيب: ٧٢٩.